السلفية والتقدمية (١)

ان الصراع بين السلفية والتقدمية قديم قدم التاريخ حيث كانت السلفية كما هي اليوم، عندما يظهر امر جديد او ظاهرة جديدة ينقسم الناس بين فريق لديه المرونة الفكرية في تفسير ذلك الامر او الظاهرة ويتعايش معه او معها ويجده امرا طبيعيا وحتمية زمنية، وفريق اخر ليست لديه القدرة والمرونة على تقبل ذلك عقلا فينكفئ الى ماضيه يبحث في تاريخ آبائه ما يفسر هذه الظاهرة، رافضا مخالفة تعاليم السلف الذين في مرحلة من مراحل التاريخ اقام لهم طوطما وجعلهم الهة له.

وحينما كانت اوروبا غارقة في عصور الظلام في احضان كهنوت الكنيسة كان المشرقان: الاقصى والادنى، يزخران بالعلم والعلماء والحكمة والحكماء. وكان ذلك امتدادا طبيعيا لماضي هاتين المنطقتين، حيث ان اول حضارة في التاريخ قد قامت في بلاد الرافدين منذ سبعة الاف سنة قبل الميلاد وثاني حضارة قامت في بلاد النيل ثم تلتهما حضارة الشرق الاقصى، وهذا ما جعل من هذه البقاع مهدا لقيام دول سمتها التنافس فيما بينها للاخذ باسباب التطور، وكان تفوق اية دولة على نظيراتها من الدول رهنا بقيادتها، فحيثما تتوفر قيادة سياسية تستوعب مستحدث الفكر الانساني تسيطر على بقية الدول بما توفره من اقتصاد وقوة حديثة. ومتى اعتلى سدة القيادة فيها قيادة متزمتة رافضة للفكر الاحدث المتجدد تتراجع الدولة وتخبو.

وقد كانت الصين ذات حضارة عريقة وكانت مضرب المثل في علومها وحكمتها، وبالاسلام قامت الدولة الاسلامية بفضل قائدها الاول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وشن حربا على التخلف والجهل واقام العدل واسس قيام دولة منيعة اهتدى بهديه خلفاؤه الراشدون، وقامت في رحاب الدولة الاسلامية المدارس الفكرية وانتشرت العلوم والفلسفة وكانت خير معين على انتصار الدولة الاسلامية وامتدادها حتى اوروبا غربا والصين شرقا، حتى جاءت قيادة متزمتة لم تول للعقل سلطانه ونكلت بكثير من المفكرين والحكماء والفلاسفة وكان احدى تلك الضحايا ابن رشد الذي قال:

● اذا تعارض معنى النص كما هو في الظاهر مع مقتضيات العقل بحثنا عن المعنى الباطن اي بتاويل المعنى الحرفي مع مقتضيات العقل.

فاصدر الخليفة المنصور منشورا رسميا اتهمه فيه بالالحاد ونفاه الى قريته اليسانة وامر بحرق مؤلفاته، وكان ذلك في القرن الثاني عشر بينما في الوقت نفسه امر فردريك الثاني بترجمة مؤلفات ابن رشد لان فلسفته تستجيب لمناهضة النظام التيوقراطي المتمثل في رجال الكنيسة الرومانية وقامت في اوروبا على فلسفة ابن رشد مدرسة الرشديين، وكان من روادها سيجردي بربان، وقد قامت ضد مدرسة الرشديين في اوروبا ايضا حركة سلفية بزعامة القديس توما الاكوين (١٢٦٥). فكان لفلسفة ابن رشد الاثر الاول في قيام عصر التنوير في اوروبا. كما كانت نهاية القرن الرابع الهجري بداية النهاية للازدهار العربي الاسلامي عندما اقفل باب الاجتهاد وانتصر تيار التقدمية في اوروبا.

(يتبع)

مصطفى الصراف